فاطمة الزهراء عليها السلام ومصحفها

أصله، حقيقته ورد الافتراءات عليه

المدرس الدكتور
إسماعيل طه الجابري
معهد الجوادين للمعلمين ـ بغداد
الباحث
محمد أياد جواد هبة الدين الحسيني الشهرستاني
مكتبة الجوادين العامة

فاطمة الزهراء عليها السلام ومصحفها أصله، حقيقته ورد الافتراءات عليه

المدرس الدكتور
إسماعيل طه الجابري
معهد الجوادين للمعلمين ـ بغداد
الباحث
محمد أياد جواد هبة الدين الحسيني الشهرستاني
مكتبة الجوادين العامة

المقدمة:

تعد حياة فاطمة الزهراء عليها السلام صفحة مضيئة من صفحات التاريخ، إذ إنها لم تكن مخلوقاً اعتيادياً كباقي البشر، بدليل إنها تميزت بمزايا عديدة سمت بها على جميع الخلق، فكانت من أبرز تلك المزايا إنها بنت المصطفى صلى الله عليه وآله سيد الكائنات وخاتم الأنبياء والمرسلين، وأمها خديجة الكبرى ذات الشرف الأصيل، وسيدة نساء عصرها والتي لم تضارعها امرأة من قريش في مكانتها علواً ومنزلةً، أما الزهراء عليها السلام فقد حظيت بعناية الله سبحانه وتعالى إذ حباها بكرامات خاصة قبل أن تولد فكانت على هيئة نور، ثم انعقدت نطفتها من ثمر الجنة، حتى ولدت حوراء إنسية وعاشت تحظى بكرامات من عند الله حتى وفاتها.

تحلّت الزهراء عليها السلام بفضل العناية الإلهية بخصال وفضائل بوأّتها مكانةً عظيمة في الدنيا والآخرة، فهي سيدة النساء وأفضلهن في العلم والأدب والفصاحة والبيان والخلق الرفيع والعبادة ومكارم الأخلاق فعنها قالت عائشة رضي الله عنها :"ما رأيت أفضل من فاطمة غير أبيها صلى الله عليه وآله "[1] وكما أثبتت الروايات وباليقين القاطع أنها مخلوق استثنائي، وما هذا البحث إلا محاولة جادة في تأكيد ذلك .

يتكون البحث من مقدمة ومبحثين وخاتمة، فجاء المبحث الأول ليسلط الضوء على بعض الدلالات والأبعاد الإعجازية في حياتها من خلال مكانتها عند الله تعالى ليكون مرتكزا يعتمده الباحثين في تعزيز ما سيوردانه في المبحث الثاني.

أما المبحث الثاني فهو قراءة أولية لمصحفها من خلال البحث والتحليل في أصله وحقيقته ومن ثم رد الافتراءات عليه، والتي كانت وما تزال سبباً لخلاف طويل ومعقد بين مذاهب المسلمين، سيعمل الباحثان على مناقشة هذه القضية دون تعصب أو تحيز لإماطة اللثام عن كثير من الحقائق التي تخص هذا الموضوع، بالاستعانة بمصادر الفريقين وصحاح أهل السنة وأسانيدهم بقدر الإمكان، أما الخاتمة فستعرض لأهم النتائج التي توصل إليها البحث.

المبحث الأول

الزهراء عليها السلام نور حول العرش قبل أن يخلق الأرض والسماء

إن الله سبحانه وتعالى خلق نور الزهراء قبل أن يخلق الأرض والسماء فعندما أخرج نورها للكون ازدهر وأضاء فقد روي عن النبي صلى الله عليه وآله قوله: خلق نور فاطمة عليها السلام قبل أن يخلق الأرض والسماء فقال بعض الناس:يا نبي الله فليست هي إنسية ؟ فقال: فاطمة حوراء إنسية قالوا: يا نبي الله وكيف هي حوراء إنسية ؟ قال:خلقها الله عز وجل من نوره قبل أن يخلق آدم...[٢]، وقال أيضا صلى الله عليه وآله "لما خلق الله الجنة خلقها من نور عرشه ثم أخذ من ذلك النور فقذفه فأصابني ثلث النور، وأصاب فاطمة ثلث النور وأصاب عليا وأهل بيته ثلث النور..."[٣]، والمتأمل في أبرز ألقابها وهو"الزهراء"يجد إن معناه اللغوي إنها مؤنث الأزهر ويعني النور أو النير المشرق الذي يتمتع بلمعان خاص، إذ إن اللون لأبيض زهر أو زاهر بمعنى النور[٤]، لهذا لقبت بالزهراء لنورها ولبياضها

قد أكدت روايات عدة على ذلك فمنها، إن أبي عبد الله عليه السلام سئل عن فاطمة لم سميت زهراء؟ فقال، لأنها كانت إذا قامت في محرابها زهر نورها لأهل السماء كما يزهر نور الكواكب لأهل الأرض[٥]، ولعل امتداد هذه الروايات موجودة في بعض الزيارات كالزيارة الجامعة التي ورد فيها:"خلقكم الله أنواراً فجعلكم بعرشه محدقين" وكذلك في زيارة الإمام الحسين عليه السلام "اشهد انك كنت نوراً في الأصلاب الشامخة والأرحام المطهرة"وفي زيارة الإمام موسى بن جعفر عليه السلام " عليك يانور الله في ظلمات الأرض"، وهذا يعني إن نور الله جل جلاله قد تمثل في خاتم الأنبياء والمرسلين محمد صلى الله عليه وآله وعلي بن أبي طالب سيد الوصيين عليه السلام ثم ينحدر النور بعد ذلك من صلب النبي صلى الله عليه وآله فكانت الزهراء عليها السلام، وهذه الروايات قد أثبتت بان الزهراء خلقت من نور الله في السماء ومثلت النور الإلهي في الأرض والتي تميزت بها عن جميع الخلائق.

ميلاد الزهراء عليها السلام والعنايات الإلهية :ـ

أكدت العديد من الروايات إن نطفة الزهراء عليها السلام قد انعقدت من ثمار الجنة، وعلى الرغم من اختلاف الروايات حول نوع الثمر هل هي تفاحة أم رطب أم سفرجل أم عنب فان المتفق في هذه الروايات المختلفة إنها من ثمار الجنة.أما كيفية وصول هذه النطفة إلى رسول الله فهناك روايات عدة رغم تنوعها فأنها تؤكد الحقيقة الثابتة وهي إن العناية الإلهية قد راعت تلك النطفة. فمن تلك الروايات على سبيل المثال لا الحصر ما روته عائشة رضي الله عنها عن الرسول قوله: "إنه لما كان ليلة أسري بي إلى السماء أدخلت الجنة فوقفت على شجرة من شجر الجنة لم أر في الجنة شجرة هي أحسن منها حسنا ولا أبيض منها ورقة ولا أطيب منها ثمرة فتناولت من ثمرتها فأكلتها فصارت نطفة في صلبي فلما هبطت الأرض واقعت خديجة فحملت بفاطمة فإذا أنا اشتقت إلى رائحة الجنة شممت ريح فاطمة"[٦]، وفي رواية أخرى عن النبي صلى الله عليه وآله قال"أتاني جبريل

بتفاحة من الجنة فأكلتها وواقعت خديجة فحملت بفاطمة فقالت أنى حملت ..."[٧]، ورواية ثالثة تقول "هبط جبرائيل عليه السلام في صورته العظمى وناده يا محمد العلي الأعلى يقرأ عليك السلام وهو يأمرك أن تعتزل عن خديجة أربعين صباحاً..." وهناك العشرات من الروايات المتفق عليها من قبل علماء المذاهب الإسلامية التي أشارت ومن دون أدنى شك بانعقاد نطفة الزهراء عليها السلام قد اقترنت بطوابع اعجازية.

وحينما قربت ولادة الزهراء عليها السلام قال رسول الله صلى الله عليه وآله للسيدة أُمّ المؤمنين خديجة"يا خديجة، هذا جبرائيل يبشرني أنّها أُنثى، وأنّها النسمة الطاهرة الميمونة، وأنّ الله سيجعل نسلي منها، وسيجعل من نسلها أئمة في الأمة، ويجعلهم خلفاء في أرضه بعد انقضاء وحيه"[٨]، ووضعت خديجة فاطمة عليها السلام طاهرة مطهرّة، وعندما سئل أبي عبد الله عليه السلام: كيف كانت ولادة فاطمة عليها السلام؟ فقال عليه السلام - وساق الحديث إلى أن قال " إذ دخل عليها أربع نسوة عليهن من الجمال والنور ما لا يوصف فقالت لها إحداهن أنا أمك حواء وقالت الأخرى أنا آسية بنت مزاحم وقالت الأخرى أنا كلثم أخت موسى وقالت الأخرى أنا مريم بنت عمران أم عيسى جئنا لنلي من أمرك ما يلي النساء، فجلست واحدة عن يمينها، والأخرى عن يسارها، والثالثة من بين يديها، والرابعة من خلفها، فوضعت خديجة فاطمة عليها السلام طاهرة مطهرة، فلما سقطت وقعت على الأرض ساجدة رافعة أصبعها"[٩]، فجبرائيل يبشر نبينا المصطفى بالولادة، وسيدات نساء أهل الجنة تلي أمرها، هكذا تدرجت هذه الأنوار وانتقلت من صلب شامخ إلى رحم طاهر وببركة ذلك النور، فهذا دليل على كرامتها وسموّ منزلتها، وعظيم مكانتها عند الله جلّ وعلا.

زواج الزهراء :-

لم تذق الزهراء طعم الحياة بعدَ أن فُجِعَت بوفاة والدتها خديجة، ولشدة

تعلقها بأبيها كناها رسول الله بأم أبيها، فالرسول لا يهب الألقاب عبثا ولا يمنح الكنى جزافاً، كانت عليها السلام تمتاز من صغر سنّها بالنضج الفكري، والرشد العقلي، وقد وهب الله تعالى لها عَقلاً كاملاً وذهناً وقّاداً، وذكاءً حاداً وحسناً وجمالاً في إشراقه محياها النورانية، وعندما أدركت عليها السلام مدرك النساء بدأ يخطبها أكابر مسلمي قريش من أهل الشرف والفضل والمال، فتقدم أبو بكر لخطبتها فكان جواب النبي صلى الله عليه وآله له "انتظر بها القضاء"(١٠)، وتقدم عمر لخطبتها أيضا، فلم يكن جواب النبي له يختلف عن جواب صاحبه من قبل، ثم تقدم لها عدّة من رجال قريش أمثال عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي الوقاص وطلحة والزبير وغيرهم من الأنصار، فكان الجواب لجميعهم لم ينزل القضاء، بينما كان رسول الله صلى الله عليه وآله يرغب في تزويجها لابن عمه علي بن أبي طالب، لأنه مأمور أن يزوّج النور من النور، وهنا ينزل جبريل ويبلّغ نبينا الأعظم بالأمر الإلهي ويقول "يا محمد إن الله يأمرك أن تزوج فاطمة ابنتك من علي"(١١)، وهكذا تزوجت الزهراء عليها السلام بأمر الهي لتنتقل من بيت الرسالة والنبوة إلى دار الإمامة والوصاية، والخلافة والولاية، ذلك البيت البسيط المتواضع في الظاهر، والعظيم عند الله ورسوله في الباطن.

هكذا شاءت حكمة الباري وجلّت قدرته لينشطر النور الإلهي إلى قسمين، نور أُودعَ في صلب عبد الله، والنور الثاني أُودعَ في صلب عبد مناف ((أبي طالب))، لينبثق من النور الأول سيد الكائنات، وأشرف المخلوقات محمد بن عبد الله المصطفى صلى الله عليه وآله لينتقل ويستقر ويُكوِّن تلك النسمة الطاهرة فاطمة الزهراء عليها السلام وينبثق النور الثاني ويستقر في مولى الموحدين علي بن أبي طالب عليه السلام، ليلتقيا ثانيةً ويتّحدا في عليّ وفاطمة عليهما السلام وهنا يكمن السرّ، وتنزل الآية المباركة "مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان، يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان"(١٢)، وهذا ما أكده رسول الله صلى الله عليه وآله إلى علي عليه السلام قال" يا علي خلقني

الله وخلقك من نوره، فلما خلق آدم عليه السلام أودع ذلك النور في صلبه، فلم نزل أنا وأنت شيء واحد، ثم افترقنا في صلب عبد المطلب، ففي النبوة والرسالة، وفيك الوصية والإمامة"[١٣]، وهنالك الكثير من الروايات أثبتت بان الملائكة احتفلت بذلك الزواج في السماء، وان زواجهما في السماء كان قبل زواجهما في الأرض.

إنّ المتأمل لمفردات زواج الزهراء عليها السلام يلمس فيه أعلى معاني الكمال الإنساني، فالله سبحانه وتعالى هو الذي اختار الكفء للزهراء عليها السلام وفق موازين الحكمة الإلهية، فكان عليّاً عليه السلام دون غيره، وهذا ما أكده الحديث النبوي الشريف" لو لم يُخلَق علي ما كان لفاطمة كفؤ"[١٤] وكما موضح في المخطط الأتي:

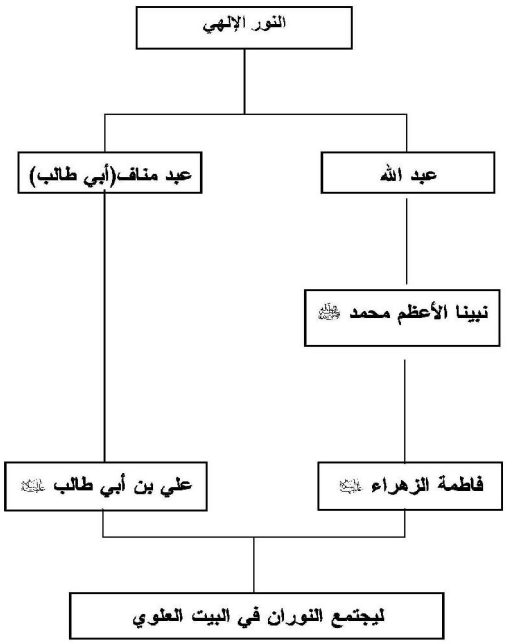

عصمة الزهراء عليها السلام :

العِصْمة لغةً أو في كلام العرب المَنْعُ، وعِصْمةُ الله عَبْدَه أن يَعْصِمَه

مما يُوبِقُه، عَصَمه يَعْصِمُه عَصْماً أي منَعَه ووَقَاه[١٥]، والمعصوم هو الممتنع عن جميع محارم الله، وفي الاصطلاح تطلق على من لا يخطئ ولا يسهو ولا يذنب، وعرف الشيخ المفيد العصمة في الاصطلاح الشرعي بأنها:لطف الهي بالمكلف يمنع وقوع المعصية وترك الطاعة مع قدرته عليهما[١٦]، وهذه الصفات كلها تنطبق على الزهراء هي ليست بكثيرة عليها وهي بضعة الرسول الأكرم، والله جل وعلا يغضب لغضبها ويرضى لرضاها، وهنالك ثمّة أدلة أخرى على عصمتها:

الدليل الأول :ـ

قوله سبحانه وتعالى في كتابه المجيد ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[١٧]، وهي آية التطهير أو ما أطلق عليه العلماء والمحدثون اسم (حديث الكساء)، ورد في أحاديث كثيرة وروي بطرق عدة من قبل العامّة والخاصة حتى جاوز حدّ التواتر، وبلغ من الشهرة والثبوت بحيث لم يُبْقِ سبيلاً أمام أي عالم، أو باحث، أو محقق منصف إلاّ وقال أنّها نزلت في أهل البيت عليهم السلام والذين هم النبي صلى الله عليه وآله وعلي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام وهذا يعني إن الله سبحانه وتعالى أراد إذهاب الرجس والتطهير عن أهل البيت حصراً وفق منظور الآية الكريمة.

الدليل الثاني :

قوله تعالى ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾[١٨]، وقد نزلت آية المباهلة هذه في واقعة من أشهر الوقائع والحوادث التي مرت على المسلمين في حياة الرسول الأعظم، وتعد هذه الآية واحدة من أكثر الآيات التي اتفق عليها أغلب المفسرين والمحدثين في تفاسيرهم، وصحاحهم، وأسانيدهم بعد أنّ

اتفقت كلمتهم على نزولها في أهل البيت إلاّ من شذّ وندر، ولا أجد حاجة إلى ذكر مصادرها، وقد أجمع المفسرون على أنّ المراد من (نِسَاءَنَا) هي فاطمة الزهراء عليها السلام، لأنه لم يحضر المباهلة غيرها من النساء، وهذا يدل على تفضيلها على جميع النساء، وتعضيداً لكلام رسول الله عندما أقبل إليه الأسقف قائلا: بمن تباهلنا يا أبا القاسم ؟ قال "بخير أهل الأرض وأكرمهم على الله عز وجل"[١٩]، وأشار إلى أهل بيته، وفضلاً عما تقدم فهنالك أية القربى وسورة الدهر والكثير من الآيات كلها توضح وتؤكد بمعانيها، وسبب نزولها في عصمة الزهراء عليها السلام، وعلو مكانتها.

إن الدلالات الآنفة الذكر لم تكن لتجتمع في امرأة قط غير الزهراء عليها السلام، إذ لم تكن بين أهل الكساء امرأة قط غير الزهراء عليها السلام، ولم يطهّر الله امرأة من نساء العالمين من الرجس غير الزهراء عليها السلام، ولم يخرج النبي صلى الله عليه وآله بمسلمة إلى مباهلة وفد نصارى نجران غير الزهراء عليها السلام، ولم تكنى بنت نبي بأُمّ أبيها غير الزهراء عليها السلام، ولم يكن لامرأة اجتمعت فيها هذه الخصال من كفءٍ غير يعسوب المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، هكذا حكمت السماء، وما بقي لنا إلا أن نحتكم إلى الآية المباركة ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[٢٠]، فإذا كان الله تعالى يتقبل مريم بقبول حسن وينبتها نباتا حسن وهي سيدة نساء زمانها وعالمها، فكيف بمن اختارها الله وحباها بعناية خاصة لتكون سيدة نساء العالمين؟

المبحث الثاني

مصحف الزهراء عليها السلام: أصله، حقيقته ورد الافتراءات عليه

الحديث عن مصحف فاطمة أمر واضح ومحسوم عند أتباع مذهب أهل

البيت، ولكن هناك بعض التساؤلات والإشكالات عند المذاهب الإسلامية الأخرى، عن أصل المصحف وحقيقته الذي كثيراً ما أثار جدلا محتدماً بين مذاهب المسلمين ولازال سببا لخلاف طويل ومعقد، وإن هذا الاختلاف والجدل فيه يتمحور:

أولاً: إن مصحف فاطمة هو قرآن الشيعة ؟

ثانياً: إن نزول الوحي أو الملك (جبرائيل) على فاطمة بعد وفاة رسول الله هو نوع من ادعاء النبوة بحق فاطمة ؟

ثالثاً: هناك تضارب في روايات مدرسة أهل البيت عليهم السلام حول ما اشتمل عليه مصحف فاطمة ما بين إخبارات مستقبلية بما هو كائن ويكون إلى قيام الساعة؟ أو أحكام فقهية حتى ارش الخدش ؟ أو مشتمل على وصية فاطمة عليها السلام ؟

إن مناقشة الاعتراضات أعلاه سيتم من خلال الروايات التي بلغت أكثر من ثمانية عشر رواية[٢١]، سنكتفي بعرض بعضها:

الرواية الأولى: عن الإمام الصادق عليه السلام :"...وإن عندنا لمصحف فاطمة عليها السلام وما يدريهم ما مصحف فاطمة قال مصحف فيه مثل قرآنكم هذا ثلاث مرات والله ما فيه من قرآنكم حرف واحد إنما هو شيء أملاها الله وأوحى إليها"[٢٢]

الرواية الثانية: عن حماد بن عثمان قال:سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول:

"تظهر الزنادقة سنة ثمانية وعشرين ومائة، وذلك لأني نظرت في مصحف فاطمة عليها السلام: قال: فقلت: وما مصحف فاطمة ؟ فقال إن الله تبارك وتعالى لما قبض نبيه صلى الله عليه وآله دخل على فاطمة من وفاته من الحزن ما لا يعلمه إلا الله عز

وجل فأرسل إليها ملكا يسلي عنها غمها ويحدثها فشكت ذلك إلى أمير المؤمنين عليه السلام فقال: لها: إذا أحست بذلك وسمعت الصوت قولي لي، فأعلمته فجعل يكتب كل ما سمع حتى أثبت من ذلك مصحفا، قال: ثم قال: أما إنه ليس من الحلال والحرام ولكن فيه علم ما يكون"[٢٣]

الرواية الثالثة: عن أبي عبيدة، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: "إن فاطمة عليها السلام مكثت بعد رسول الله صلى الله عليه وآله خمسة وسبعين يوما، وكان دخلها حزن شديد على أبيها، وكان جبرائيل عليه السلام يأتيها فيحسن عزاءها على أبيها، ويطيب نفسها، ويخبرها عن أبيها ومكانه، ويخبرها بما يكون بعدها في ذريتها، وكان علي عليه السلام يكتب ذلك فهذا مصحف فاطمة عليها السلام "[٢٤].

الرواية الرابعة: عن أبي الحسن علي بن موسى الرضا عليه السلام قال: للإمام علامات:"يكون عنده مصحف فاطمة عليها السلام"[٢٥].

وقبل دراسة واستعراض هذه التساؤلات والإشكالات والتي سنحاول الإجابة عليها من خلال هذه المرويات، وقبل الرد على النقطة الأولى التي تتهم الشيعة بأن مصحف فاطمة هو قرآن الشيعة، لابد من تعريف المصحف، فالمصحف لغة: الجامع للصُّحُف سُميٍّ المُصْحَفُ مُصْحفاً لأنه أُصْحِف أي جعل جامعاً للصُّحُف المكتوبة بين الدَّفَّتَيْن[٢٦]، وفي تفسير الدفتين، الدفة: الجنب من كل شيء وصفحته،ومنه دفتا المصحف: جانباه وضمامتاه من جانبيه أي ما تضم به شيئاً إلى شيء[٢٧]، يقال حفظ مابين الدفتين أي حفظ الكتاب من الجلد إلى الجلد، فالمصحف هو اسم لكل كتاب مجلد، سواء قرآنا كان أم غير قرآن. وعندما نبحث في أسماء القران الكريم في كتاب الله المجيد نجد إن هناك أكثر من (٥٥) اسماً للقران مثل:قرأنا وكتاباً وفرقاناً وبياناً وتذكرةً وبشيراً..الخ[٢٨]، فلا يوجد بضمنها اسم مصحف وبناء على هذا فان المصحف ليس اسما مختصا بالقران الكريم، وهذا ما جاء في الروايات إن

فاطمة ابنة رسول اللّه صلى الله عليه وآله كان لها كتاب اسمه المصحف فيه أخبار بالمغيبات[٢٩]، وعندما نبحث في تاريخ هذه التسمية (المصحف) نجد إنها جاءت بعد رحيل رسول الله صلى الله عليه وآله إلى الرفيق الأعلى أي في زمن أبي بكر الصديق عندما أمر بجمع القران في مصحف واحد، ولكن اشتهر إن عثمان هو أول من جمع المصاحف **"فَأَرْسَلَ إِلَى حَفْصَةَ أَنْ أرسلي إِلَيْنَا بِالصُّحُفِ نَنْسَخُهَا فِي الْمَصَاحِفِ ثُمَّ نَرُدُّهَا إِلَيْكِ فَأَرْسَلَتْ بِهَا حَفْصَةُ إِلَى عُثْمَانَ فَأَمَرَ زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ وَعَبْدَ اللَّهِ بْنَ الزُّبَيْرِ وَسَعِيدَ بْنَ الْعَاصِ وَعَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ الْحَارِثِ بْنِ هِشَامٍ فَنَسَخُوهَا فِي الْمَصَاحِفِ وَقَالَ عُثْمَانُ لِلرَّهْطِ الْقُرَشِيِّينَ الثَّلَاثَةِ إِذَا اخْتَلَفْتُمْ أَنْتُمْ وَزَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ فِي شَيْءٍ مِنَ الْقُرْآنِ فَاكْتُبُوهُ بِلِسَانِ قُرَيْشٍ فَإِنَّمَا نَزَلَ بِلِسَانِهِمْ فَفَعَلُوا حَتَّى إِذَا نَسَخُوا الصُّحُفَ فِي الْمَصَاحِفِ رَدَّ عُثْمَانُ الصُّحُفَ إِلَى حَفْصَةَ"**[٣٠]، فالتسمية إذن في زمن الخلفاء، وهذا دليل آخر على إن مصحف فاطمة أصله كتاب، وإن من يدعي بأنه قرآن فهو واهم، وهذا ما يردّ الإشكال الأول من إن المصحف هو كتاب وليس قرآن، وينطبق مع مضمون الرواية الأولى عن الإمام الصادق عليه السلام: والله ما فيه من قرآنكم حرف واحد.

أما بالنسبة للإشكال الثاني فلا نرى أية مغالاة أو ادعاء للنبوة بحق فاطمة عليها السلام (للأسباب التالية):

أولاً: إنها كانت محدثة والمُحَدَّث: من تكلّمه الملائكة بلا نبوّة ولا رؤية صورة، وأكيد هو نوع خاص من البشر، خصهم الله تعالى من دون خلقه لعظيم الصلة بين الله تعالى وبينهم، كونهم من الألطاف الربانية في الأرض، وهذه كرامة يخص الله بها من شاء من صالح عباده، والزهراء عليها السلام حظيت بهذه المنزلة المباركة وهذا ما أثبتناه في المبحث الأول.

ثانياً: إن أحد ألقابها عليها السلام " محدّثة "، لأنّ الملائكة كانت تهبط من السماء،

وتحدثها كما فعلت مع نساء قبلها وهذا ما تؤيده الرواية الآتية عن الإمام الصادق عليه السلام بقوله: "إنّما سميت فاطمة عليها السلام محدّثة، لاَنّ الملائكة كانت تهبط من السماء فتناديها كما تنادي مريم بنت عمران، فتقول: يا فاطمة، إنّ الله اصطفاك وطهّرك واصطفاك على نساء العالمين. يا فاطمة، اقنتي لربك واسجدي واركعي مع الراكعين، فتحدّثهم ويحدّثونها . فقالت لهم ذات ليلة: أليست المفضّلة على نساء العالمين مريم بنت عمران؟ فقالوا: إنّ مريم كانت سيدة نساء عالمها، وإنّ الله عزَّ وجلَّ جعلك سيدة نساء عالمك وعالمها، وسيدة نساء الأولين والآخرين "[٣١].

ثالثاً: إن مسألة نزول الوحي وتحدّث الملائكة مع البشر ليس أمراً غريباً ولا مرفوضاً كما يدعيه بعضهم، كما انه لم يكن مختصا بالأنبياء بدليل إن القرآن الكريم صرح بذلك في مواضع عدة منها:

تحدثت الملائكة مع سارة زوجة نبي الله إبراهيم كما تذكره الآية القرآنية وسارة لم تكن نبي ما نصه ﴿قَالَتْ يَا وَيْلَتَى أَأَلِدُ وَأَنَاْ عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِى شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَىْءٌ عَجِيبٌ قَالُواْ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللّهِ رَحْمَتُ اللّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ﴾[٣٢].

وخاطبت الملائكة مريم بنت عمران وهي الأخرى لم تكن نبي بالقول "وَإِذْ قَالَتِ الْمَلاَئِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاء الْعَالَمِينَ يَا مَرْيَمُ اقْنُتِى لِرَبِّكِ وَاسْجُدِى وَارْكَعِى مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾[٣٣]، وفي المعنى ذاته خاطبت الملائكة أم نبي الله موسى عليه السلام بقوله ﴿أَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى الْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِى إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾[٣٤]، وإن أم موسى لم تكن نبي، ألم يكن هذا دليل قطعي

إن الملائكة تحدثت مع نساء لم يكونوا أنبياء فالله سبحانه وتعالى قادر على إرسال الوحي، مع من يشاء، وحيث شاء، وأنّى شاء، فالوحي لا يقتصر على الأنبياء بدليل قوله تعالى: ﴿فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا"[٣٥].

﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي﴾[٣٦].

﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا﴾[٣٧].

﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا﴾[٣٨].

فليس السماوات ولا الحواريين ولا الملائكة ولا النحل(الحشرات التي لا تعقل) أعظم وأفضل من الزهراء سيّدة نساء العالمين الأوّليين والآخرين.

وبعد استعراض هذه الأدلة يبرز أمام الباحث المنصف السؤال الآتي: لماذا يستكثرون على الزهراء عليها السلام أن يوحى لها ويعدّون ذلك هو ادعاء للنبوة، في حين يكون لزاماً علينا أن نصدق نزول الوحي على محبيهم ؟![٣٩].

أما بالنسبة للإشكال الثالث فلا يوجد أي تضارب في الروايات، فقد أجمعت العديد من المصادر على إن المصحف عبارة عن أخبار بالمغيبات بما كان وما يكون حتى قيام الساعة وهذه بعض منها:

- سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول "إن عندي لصحيفة فيها أسماء الملوك، ما لولد الحسن فيها شيء"[٤٠].
- قال الإمام الصادق عليه السلام "وأما مصحف فاطمة عليها السلام ففيه ما يكون من حادث، وأسماء من يملك إلى أن تقوم الساعة"[٤١].

وفي الرواية الثانية يشار إلى تاريخ ظهور الزندقة سنة ١٢٨هـ، كما في نفس الرواية إثبات آخر قال: أما إنه ليس من الحلال والحرام ولكن فيه علم ما يكون"هذه الأدلة تثبت بأن المصحف هو أخبار بما كان وما يكون، وتقودنا

إلى استبعاد احتوائه على أحكامٍ فقهية أو على وصيتها.

وبعد أن انتهينا من بيان أصل المصحف، واثبات حقيقته، ودحض الافتراءات عليه من خلال الأحاديث والروايات، لابد من الإشارة إلى إن الروايات أكدت بأن المصحف توارثه أئمة أهل البيت عليهم السلام وانه يعد من علامات كل إمام معصوم، ومن تلك العلامات(٤٢).

- أبا عبد الله عليه السلام يقول "ما مات أبو جعفر الباقر عليه السلام حتى قبض مصحف فاطمة عليها السلام ".
- عن الإمام موسى بن جعفر عليه السلام قال "عندي مصحف فاطمة ليس فيه شيء من القرآن"

الخاتمة :ـ

بعد انجاز هذه الدراسة المتواضعة في رحاب السيرة العطرة للصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء عليها السلام، والتي خرجت بعدة نتائج كان أهمها:

١- ولم تنل فاطمة عليها السلام مرتبة السيادة السامية كونها بنت الرسول صلى الله عليه وآله وأمها خديجة الكبرى سيدة نساء العالمين وحسب ولكن الله تعالى اختارها وفضّلها على نساء العالمين، فقد حظيت عليها السلام بمناقب فذّة ومزايا عجيبة ومكانة سامية عند الله ورسوله وملائكته وكتبه المقدسة، فخلقها الله من نوره قبل أن يخلق الأرض والسماء، ثم انعقاد نطفتها من ثمار الجنة، وولادتها على يد نساء أهل الجنة، فكان زواجها بأمر الله تعالى، لهذا فهي لم تكن مخلوقاً اعتيادياً كباقي البشر.

٢- كان لها في كتاب الله نصيب كبير:

- إذ لم تكن بين أهل الكساء امرأة قط غيرها،

♦ ولم يطهّر الله امرأة من نساء العالمين من الرجس غيرها

♦ ولم يخرج النبي صلى الله عليه وآله بمسلمة إلى المباهلة بغيرها

فتفرّدت بنيل ذلك الشرف من دون نساء الأمة

٣- بعد دراسة الروايات المتناولة لمصحف فاطمة دراسة معمقة وقد تبين انه:

♦ إن الزهراء عليها السلام محدّثة، وأصل مصحفها هو كتاب عن أخبار المغيبات بما كان وما يكون حتى قيام الساعة وليس قرآناً كما يدعى بعضهم، محاولين الإساءة لها من جهة والدس والتشويه من جهة أخرى

● يعد المصحف من علامات كل إمام معصوم

هوامش البحث

(١) أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، المعجم الأوسط، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، (القاهرة: دار الحرمين، ١٤١٥هـ)، ج٣، ص١٣٧.

(٢) محمد باقر المجلسي (ت ١١٠هـ)، بحار الأنوار، (قم: مركز إحياء الكتب الإسلامية، د.ت)، ج٤٣، ص٤.

(٣) أبى جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمى الصدوق (ت٣٨١هـ)، الخصال، (النجف الاشرف: منشورات المطبعة الحيدرية، ١٩٧١م)، ص١٧٢.

(٤) محمد بن مكرم بن منظور، لسان العرب، (بيروت:دار صادر، ١٩٥٥م)، باب زهر، ج٤، ص٣٣١

(٥) محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي الصدوق (٣٨١هـ)، علل الشرائع، المصدر سابق، ص١٨١.

(٦) جلال الدين السيوطي (٨٤٩هـ -٩١١هـ)، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، (القاهرة: مركز هجر للدراسات الإسلامية، ٢٠٠٣م)، ج٩، ص٢١١- ص٢١٢.

(٧) محب الدين احمد بن عبد الله الطبري (٦١٥ - ٦٩٤هـ)، ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى، تحقيق سامي الغريري الغراوي، (قم: مؤسسة دار الكتاب الإسلامي، ٢٠٠٧م)، ج١، ص١٩٨.

(٨) محمد باقر المجلسي (ت١١٠هـ)، بحار الأنوار، المصدر السابق، ج١٦، ص٨٠.

(٩) المصدر نفسه، ص٧٨.

(١٠) ابن الجوزي (ت٥٩٧ هـ)، المنتظم في تواريخ الملوك والأمم، تحقيق: سهيل زاكار، (بيروت: دار الفكر، ١٩٩٥م)، ج٢، ص٢٠٠.

(١١) وللمزيد من المعلومات عن تزويج فاطمة لعلي عليه السلام، ينظر: ذخائر العقبى، محب الدين احمد بن عبد الله الطبري، المصدر سابق، ج١، ص١٤٥.

(١٢) سورة الرحمن، أية:١٩ - ٢٢.

(١٣) سليمان بن إبراهيم القندوزي الحنفي(ت ١٢٩٤هـ)، ينابيع المودة، ط٢، (قم: أمير، ١٤٧١هـ)، ج١، ص٣٠٥.

(١٤) مصدر سابق، ص٣٠٥.

(١٥) محمد بن مكرم بن منظور، لسان العرب، المصدر سابق، ج١٢، باب عصم، ص٤٠٣.

(١٦) محمد بن محمد النعمان المفيد (ت٤١٣هـ)، النكت الاعتقادية، ط٢، (بغداد:المطبعة العصرية، ١٣٤٣هـ)، ص٤٥.

(١٧) سورة الأحزاب، آية: ٣٣.

(١٨) سورة آل عمران، آية: ٦١.

(١٩) محمد باقر المجلسي(ت١١٠)، بحار الأنوار، المصدر السابق، ج٢١، ص٣٢١.

(٢٠) سورة آل عمران، أية: ٣٧.

(٢١) انتصار عدنان عبد الواحد العواد، السيدة فاطمة الزهراء دراسة تاريخية، (بيروت: مؤسسة البديل، ٢٠٠٩م)، ص٦٢٩.

(٢٢) محمد بن حسن الصفار، بصائر الدرجات في مناقب آل محمد، ط٣، (قم: طليعة النور، ١٤٢٩هـ)، ج١، ص٢١٠.

(٢٣) المصدر نفسه، ص٢١٥.

(٢٤) أبو جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق الكليني (ت٣٢٩هـ)، الأصول من الكافي، تحقيق علي اكبر غفاري، (قم:دار الكتب الإسلامية، ١٣٨٨هـ)، ج١، ص٢٤١.

(٢٥) أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمى الصدوق (ت٣٨١هـ)، عيون أخبار الرضا، (قم: المكتبة الحيدرية، ١٤٢٦هـ)، ج١، ص١٩٢.

(٢٦) محمد بن مكرم بن منظور، لسان العرب، المصدر السابق، باب صحف، ٩ج، ص١٨٦.

(٢٧) المصدر نفسه، باب دفف، ص١٠٤.

(٢٨) لمزيد من التفاصيل عن أسماء القران، ينظر:بدر الدين محمد عبد الله الزركشي (ت٧٩٤هـ)، البرهان في علوم القران، تحقيق يوسف عبد الرحمن المرعشي، (بيروت:دار المعرفة، ١٩٩٠م)، ج١، ص٣٧٠.

(٢٩) مرتضى العسكري (ت٢٠٠٧هـ)، المصطلحات الإسلامية، (د.م:كلية أصول الدين، ١٩٩٨م)، ص٩٦.

(٣٠) بدر الدين محمد عبد الله الزركشي (ت٧٩٤هـ)، البرهان في علوم القران، مصدر سابق، ج١ ص٣٣٠.

(٣١) محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي الصدوق (٣٨١هـ)، علل الشرائع، المصدر سابق، ص١٨٢.

(٣٢) سورة هود، أية :٧٢ - ٧٣.

(٣٣) سورة آل عمران، أية : ٤٢ - ٤٣.

(٣٤) سورة القصص، أية: ٧.

(٣٥) سورة فصلت، أية : ١٢.

(٣٦) سورة المائدة، أية: ١١١.

(٣٧) سورة الأنفال، أية : ١٢.

(٣٨) سورة النحل، أية:٦٨.

(٣٩) مما يدلل على ما ذهبنا إليه الحديث الذي روته عَائِشَةَ أَنَّهَا قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله "إِنَّهُ كَانَ فِي الأُمَمِ قَبْلَكُمْ مُحَدَّثُونَ، فَإِنْ يَكُنْ فِي هَذِهِ الأُمَّةِ فَهُوَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ" وهذا الحديث مروي في معظم الصحاح والسنن وأسانيد أهل السنة ينظر: محمد بن فتوح الحميدي، الجمع بين الصحيحين البخاري ومسلم، تحقيق علي حسين البواب، ط٢، (بيروت:دار ابن حزم، ٢٠٠٢م)، ج٤، ص١٥٨.

(٤٠) محمد باقر المجلسي (ت١١٠هـ)، بحار الأنوار، المصدر السابق ج٢٦، ص١٥٦.

(٤١) محمد كاظم القزويني، فاطمة الزهراء من المهد إلى اللحد، ط٢، (قم:دار الانتصار، ٢٠٠٦م)، ص٦٠.

(٤٢) محمد باقر المجلسي (ت١١٠هـ)، بحار الأنوار، ج٢٦، المصدر السابق، ص٤٧.

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم

١- ابن الجوزي، المنتظم في تواريخ الملوك والأمم، تحقيق:سهيل زاكار، ج٢، (بيروت: دار الفكر، ١٩٩٥م).

٢- ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، باب زهر، ج٤، (بيروت:دار صادر، ١٩٥٥م)

٣- الحميدي، محمد بن فتوح، الجمع بين الصحيحين البخاري ومسلم، تحقيق علي حسين البواب، ط٢، (بيروت:دار ابن حزم، ٢٠٠٢م)، ج ٤

٤ـ الزركشي، بدر الدين محمد عبد الله، البرهان في علوم القران، تحقيق يوسف عبد الرحمن المرعشي، (بيروت:دار المعرفة، ١٩٩٠م).

٥ـ السيوطي، جلال الدين(٨٤٩هـ ـ٩١١هـ)، الدر المنثور في التفسير بالمأثور، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، (القاهرة: مركز هجر للدراسات الإسلامية، ٢٠٠٣م).

٦ـ الصدوق القمى، أبى جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه (٣٨١ هـ)، الخصال، النجف الاشرف:منشورات المطبعة الحيدرية، ١٩٧١م.

٧ـ ـــــ، علل الشرائع، ط٢، (نجف:المكتبة الحيدرية، ١٩٦٦هـ).

٨ـ ـــــ، عيون أخبار الرضا، (قم:المكتبة الحيدرية، ١٤٢٦هـ)، ج١.

٩ـ الصفار، محمد بن حسن، بصائر الدرجات في مناقب آل محمد، ط٣، (قم:طليعة النور، ١٤٢٩هـ)، ج١.

١٠ـ الطبراني، أبو القاسم سليمان بن أحمد، المعجم الأوسط، تحقيق:طارق بن عوض الله بن محمد، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، (القاهرة:دار الحرمين، ١٤١٥هـ) .

١١ـ الطبري، محب الدين احمد بن عبد الله(٦١٥-٦٩٤هـ)، ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى، تحقيق سامي الغريري الغراوي، (قم:مؤسسة دار الكتاب الإسلامي، ٢٠٠٧م).

١٢ـ العسكري، مرتضى المصطلحات الإسلامية، (د.م:كلية أصول الدين، ١٩٩٨م).

١٣ـ انتصار عدنان عبد الواحد العواد، السيدة فاطمة الزهراء دراسة تاريخية، (بيروت:مؤسسة البديل، ٢٠٠٩م)

١٤ـ القزويني، محمد كاظم، فاطمة الزهراء من المهد إلى اللحد، ط٢، (قم:دار الانتصار، ٢٠٠٦م)

١٥ـ القندوزي الحنفي، سليمان بن إبراهيم، ينابيع المودة، ط٢،، (قم:أمير، ١٤٧١ هـ)

١٦ـ الكليني، أبو جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق (ت ٣٢٩هـ)، الأصول من الكافي، تحقيق علي اكبر غفاري، (قم:دار الكتب الإسلامية، ١٣٨٨هـ)، ج١

١٧ـ المجلسي، محمد باقر، بحار الأنوار، ط٢المصححة، (بيروت:مؤسسة الوفاء، ١٩٨٣م)

١٨ـ المفيد، محمد بن محمد النعمان (٤١٣هـ)، النكت الأعتقادية، ط٢، (بغداد: المطبعة العصرية، ١٣٤٣هـ).